

الزَّوَاجُ المُبَارَكُ

سفير

حَيَاةُ النَّبِىِّ ﷺ

الزَّوَاجُ المُبَارَكُ

كتبها
سمير حلبى

رسوم
عبد المرضى عبيد



رقم الإيداع ٢٠٠٦٤ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 361 - 194 - 9
جرافيك وفصل ألوان : عاصم سيد أحمد

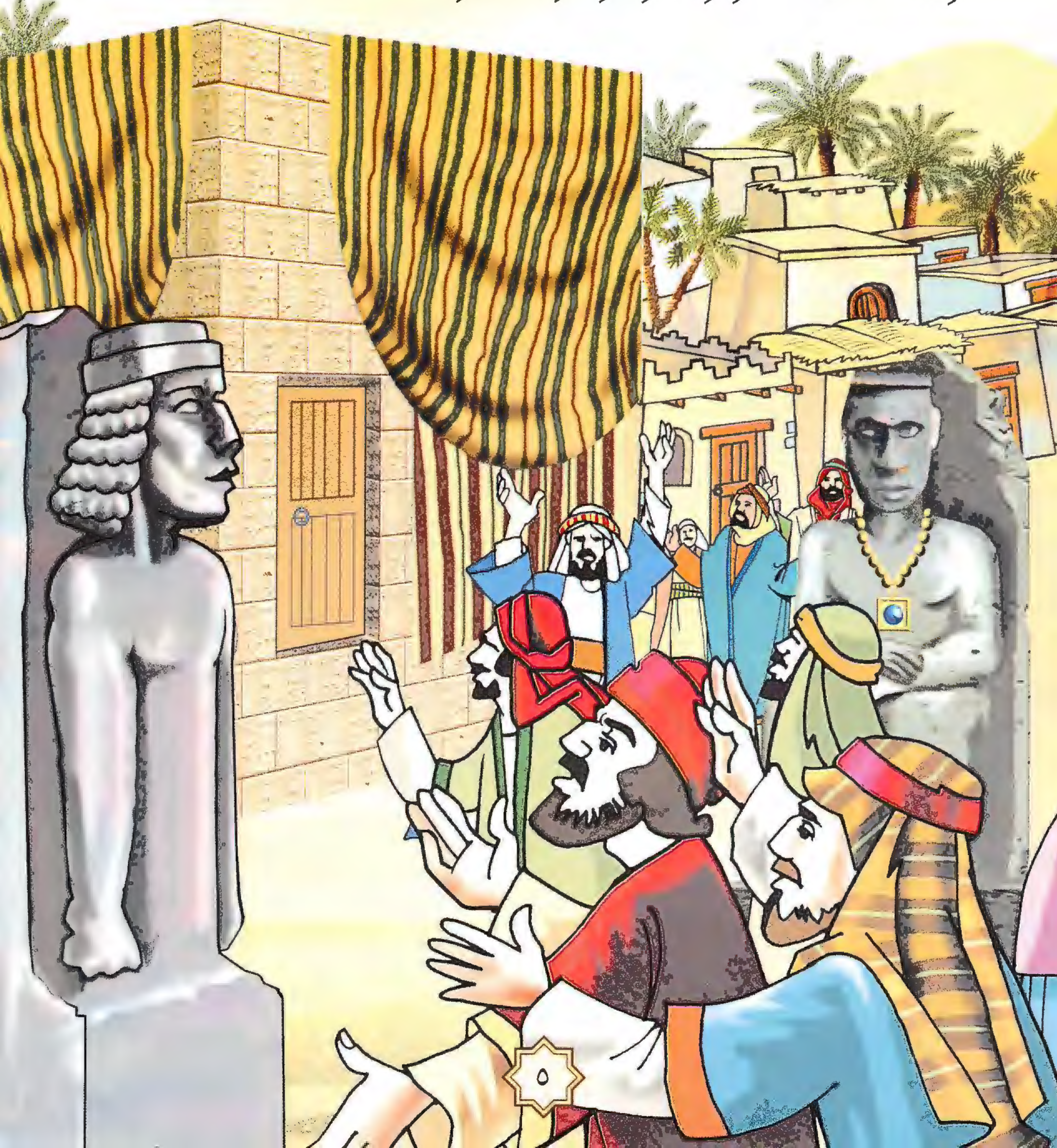
اقتَرَبَت الشَّمْسُ منَ الغُرُوب، وَامْتَزَجَتْ أَشعتُّها الحَمْرَاءُ برِمَالِ الصَّحْرَاءِ الصَّفْرَاءِ عَلَى مَرْمَى الأُفُقِ، وَتَلَوَّنَتِ السَّمَاءُ بِحُمْرَةِ الشَّفَقِ الدَّاكِنَة، وَمِنْ بَعِيد بَدَتْ أَشْبَاحٌ وَخَيَالاتٌ تتَحركُ فِيالأُفُقِ البَعِيدِ عَلَى مَرْمَى البَصَرِ، بَدَأَتْ تَقْتَرِبُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا حَتَّى ظَهَرَتْ مَعَالِمُ القَافِلَةِ العَائِدَةِ مِنَ «الشَّامِ»، وَهِيَ تَتَّخِذَ طَرِيقَهَا المَعهُودَ عَائِدةً إِلَى «مَكَّةَ».



تَسَابَقَ أَهْلُ «مَكَّةَ» لاسْتِقْبَالِ القَافِلَةِ المُحَمَّلَةِ بِبَضَائِعِ « الشَّامِ»، التِى طَالَمَا انْتَظَرُوا قُدُومَهَا، والتِى اعتَادُوا أَنْ تَجْلِبَ إِلَيْهِم مَا يَحْتَاجُونَهُ مِنَ الزَّيْتِ والدَّقِيقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الطَّعَامِ، وَأَنْواعِ الثِّيَابِ والمَلابِسِ الفَاخِرَةِ التِى اشْتُهِرَتْ بِهَا بِلادُ «الشَّامِ».

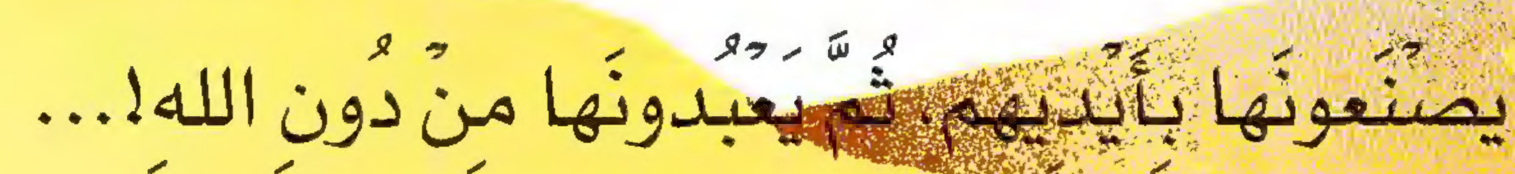


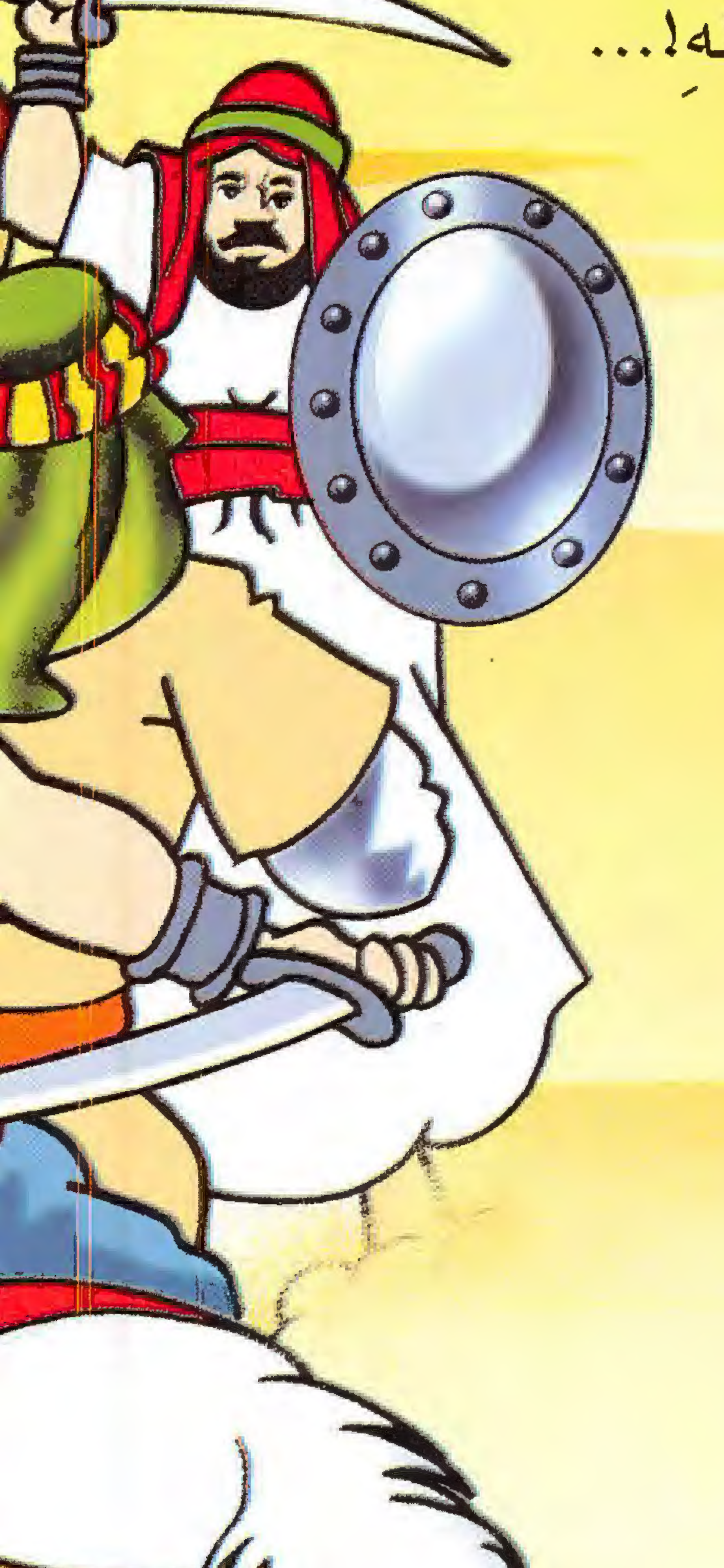
وَأَسْرَعَ العَائِدُونَ مِنْ رِجَالِ القَافِلَةِ نَحْوَ الكَعْبَةِ، لِيَطُوفُوا حَوْلَ تِلْكَ التَّمَاثِيلِ التِى تَنَاثَرَتْ مِنْ حَوْلِها، وَيُقَدِّمُوا إِلَيْها الهَدَايا والقَرَابِينَ التِى أَحْضَرُوها لآلِهَتِهِم مِنْ بِلادِ «الشَّامِ».



وَبِرَغْمِ التَّعَبِ وَالإِعْيَاءِ اللَّذَين أَصَابَا «أَبَا طَالِبٍ» طَوَالَ تِلْكَ الرِّحْلَةِ الشَّاقَّةِ، فإِنَّه أَسْرَعَ مَعَ بَقِيَّةِ رِجَالِ القَافِلَةِ، لِيُؤَدُّوا تِلْكَ المَنَاسِكَ التِى اعْتَادُوا القِيَامَ بِهَا بَعْدَ كُلِّ رِحْلَةٍ.

لَمْ تَكُنْ دَهْشَةُ «أَبِى طَالِبٍ» كَبِيرَةً حِينَمَا اعْتَذَرَ «مُحَمَّدٌ» عَنِ الذَّهَابِ مَعَهُ لِلتَّبَرُّكِ بِآلِهَةِ «قُرَيْشٍ»، وَتَقْدِيمِ الهَدَايَا لَهَا، فَلطَالَمَا أَلَحَّ عَلَيْهِ قَوْمُه فِى زِيَارَتِها وَالتَّقَرُّبِ إِلَيهَا، لَكِنَّه كَانَ دَائمًا يُعْرِضُ عَنْهُم وَيَسْخَرُ مِنْ تِلْكَ الأَصْنَامِ، وَيَتَنَدَّرُ بِجَهْلِ أُولَئِكَ الذِينَ يَصْنَعونَها بِأَيْدِيهِم، ثُمَّ يَعْبُدونَها مِنْ دُونِ اللهِ!...







مَرَّتْ سَنَوَاتٌ وَسَنَوَاتٌ وَأَصْبَحَ «مُحَمَّدٌ» شَابًّا فِى العِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ حَدَثَ أَمْرٌ خَطِيرٌ بَدَّلَ سُكُونَ «مَكَّةَ» وَهُدُوءَهَا إِلى حَرْبٍ طَاحِنَةٍ وَأَحْدَاث دَامِيَةٍ رَاحَ ضَحِيَّتَهَا عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ أَبْنَاءِ «مَكَّةَ»؛





فَقَدْ دَارَتْ حَرْبٌ
شَدِيدَةٌ بَيْنَ بَعْضِ القَبَائِلِ،
سُمِّيتْ «حَرْبَ الفُجَارِ»؛ لأَنَّ
تِلْكَ القَبَائِلَ المُتَحَارِبَةَ
اعْتَدَتْ عَلَى أَمْنِ «مَكَّةَ»،
واسْتَبَاحَتْ حُرُمَاتِهَا التِى
كَانَتْ مُقَدَّسَةً عِنْدَ العَرَبِ.

وَأَسْرَعَ العقَلاءُ مِنْ أَهْلِ «مَكَّةَ» لِتَدَارُكِ الأَمْرِ، وَإِنْقَاذِ النَّاسِ مِنْ تِلْكَ الحَرْبِ التِى اشْتَعَلَتْ نِيرَانُهَا بِسُرْعَةٍ، وَكَادَتْ تَنْتَشِرُ بَيْنَ جَمِيعِ قَبَائِلِ العَرَبِ.

وَدَعَتْ «قُرَيْشٌ» إِلَى حِلْفٍ جَدِيدٍ بَيْنَ العَرَبِ لِيُصْلِحَ بَيْنَ المُتَحَارِبِينَ وَيَقْضِى بَيْنَ المُتَخَاصِمِينَ، وَسَمُّوا ذَلِكَ الحِلْفَ «حِلْفَ الفُضُولِ».

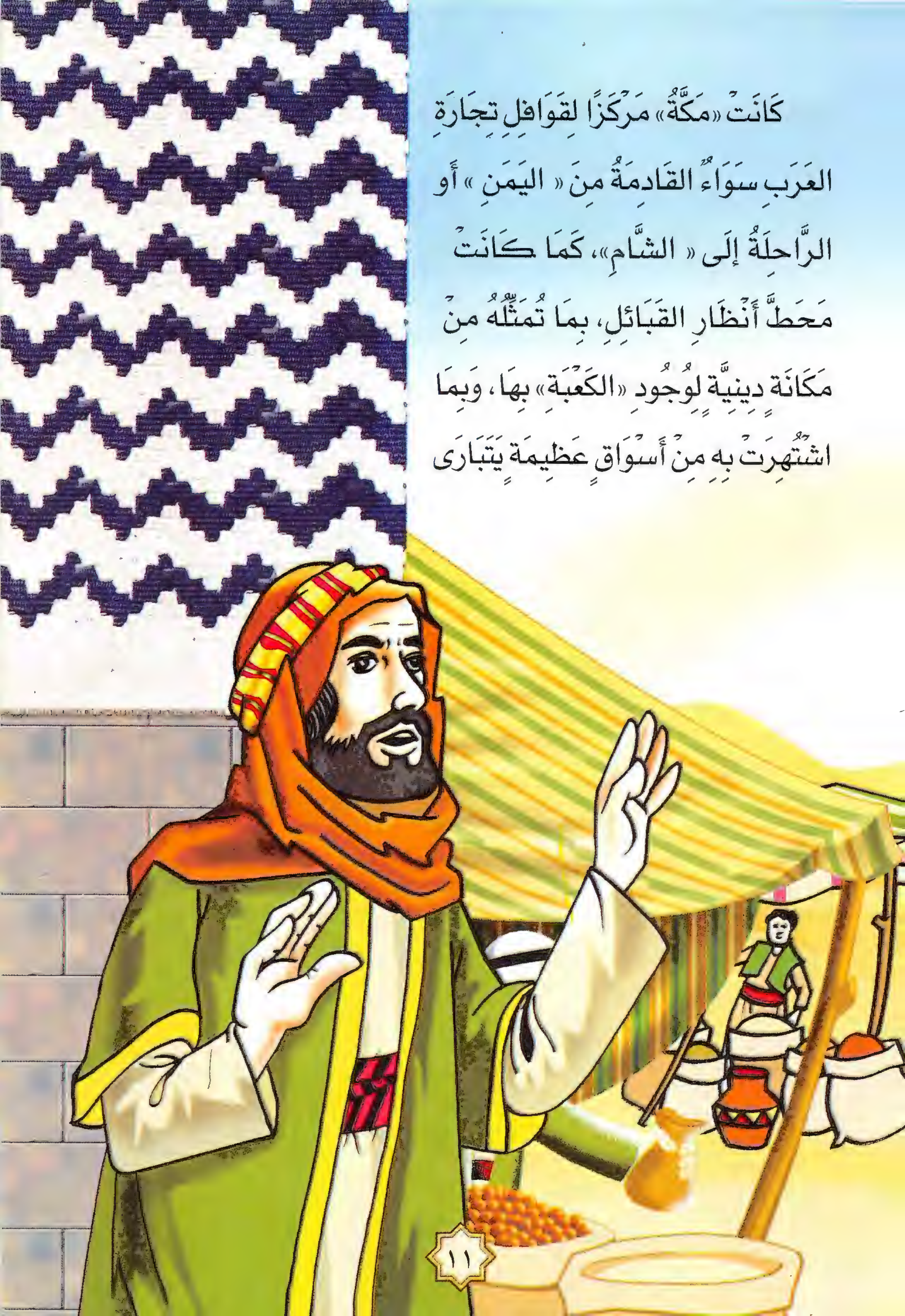
اجْتَمَعَ زُعَمَاءُ «مَكَّةَ» وَرُؤَسَاءُ القَبَائِلِ المُتَحَارِبَةِ فِى دَارِ رَجُلٍ مِنْ أَشْرَافِ «مَكَّةَ» اسْمُه «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ»، وَتَعَاهَدَ الحَاضِرُونَ مِنْ قَبَائِلِ العَرَبِ عَلَى أَلا يَجِدُوا بِمَكَّةَ مَظْلُومًا مِنْ أَهْلِهَا أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ إِلا نَصَرُوه، وَرَدُّوا الظُّلْمَ عَنْهُ، وَأَخَذُوا الحَقَّ مِنَ الظَّالِمِ.



فَرِحَ أَهْلُ «مَكَّةَ» بِمَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ زُعَمَاءُ «قُرَيْشٍ» مِنْ إِقْرَارِ هَذَا الحِلْفِ الجَدِيدِ، الذِى يُحَقِّقُ الأَمْنَ وَالسَّلامَ لأَهْلِ «مَكَّةَ» وَالمُقِيمِينَ بِهَا مِنْ قَبَائِلِ العَرَبِ، وَكَانَ «مُحَمَّدٌ» قَدْ حَضَرَ هَذَا الحِلْفَ مَعَ أَعْمَامِهِ، وَظَلَّ يَعْتَزُّ بِهِ طَوَالَ حَيَاتِهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ مَظَاهِرِ التَّعَاوُنِ وَالبِرِّ والسَّلامِ.

وَهَكَذَا عَادَ الأَمْنُ والسَّلامُ يُرَفْرِفَانِ فَوْقَ رُبُوعِ «مَكَّةَ» مِنْ جَدِيدٍ.





كَانَتْ «مَكَّةُ» مَرْكَزًا لِقَوَافِلِ تِجَارَةِ العَرَبِ سَوَاءٌ القَادِمَةُ مِنَ « اليَمَنِ » أَو الرَّاحِلَةُ إِلَى « الشَّامِ»، كَمَا كَانَتْ مَحَطَّ أَنْظَارِ القَبَائِلِ، بِمَا تُمَثِّلُهُ مِنْ مَكَانَةٍ دِينِيَّةٍ لِوُجُودِ «الكَعْبَةِ» بِهَا، وَبِمَا اشْتُهِرَتْ بِهِ مِنْ أَسْوَاقٍ عَظِيمَةٍ يَتَبَارَى

فِيهَا التُّجَّارُ بِتَقْدِيمِ أَنْفسِ البَضَائِعِ، وَيَتَنَافَسُ الشُّعَرَاءُ والخُطَبَاءُ بِعَرْضِ أَشْعَارِهِم وَإظْهَارِ مَوَاهِبِهِم.

وَكَانَ اهْتِمَامُ أَهْلِ «مَكَّةَ» كَبِيرًا بِمَجَالِسِ اللَّهْوِ والطَّرَبِ التِى يَحْرِصُ عَلَى حُضُورِهَا كَثِيرٌ مِنَ الشَّبَابِ وَالشُّيُوخِ.

وَلَكِنَّ «مُحَمَّدًا» كَانَ يَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنْ أَقْرَانِهِ وَرِفَاقِهِ، فَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ المَجَالِسُ وَالأَنْدِيَةُ تَسْتَهْوِيهِ كَمَا تَسْتَهْوِى غَيْرَهُ مِنَ الشَّبَابِ، وَقَدْ عُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ بِكَثِيرٍ مِنَ الصِّفَاتِ والأَخْلَاقِ الحَمِيدَةِ حَتَّى أَطْلَقُوا عَلَيْهِ « الصَّادِقَ الأَمِينَ».



أَرَادَ «مُحَمَّدٌ» أَنْ يُسَاعِدَ عَمَّه «أَبَا طَالِبٍ»، فَعَمِلَ بِالرَّعْيِ، وَهِيَ الحِرْفَةُ التى كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ «مَكَّةَ» فِى حيَاتِهِم وَمَعَاشِهِم .

وَحِينَمَا بَلَغَ الخَامِسَةَ والعِشْرِينَ عَرَضَ عَلَيْهِ عَمُّهُ أَنْ يَعْمَلَ فِى التِّجَارَةِ، وَرَشَّحَ لَهُ سَيِّدَةً تَاجِرَةً مِنْ أَشْرَافِ «مَكَّةَ» وَأَثْرِيَائِهم، لِيُتَاجِرَ لَهَا فِى مَالِهَا، وَهِىَ السَّيِّدَةُ « خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ».



خَرَجَ «مُحَمَّدٌ» إلَى «الشَّامِ» مَرَّةً أُخْرَى فِي قَافِلَةٍ كَبِيرَةٍ للسَّيِّدَةِ «خَدِيجَةَ»، وَسَافَرَ مَعَهُ غُلامٌ لَهَا اسْمُهُ «مَيْسَرَةُ»، وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُ «مَيْسَرَةَ» بِمُحَمَّدٍ مُنْذُ أَنْ رَآه، وَازْدَادَ إعجَابُهُ بِهِ وَتَعَلُّقُه بِهِ بَعْدَ أَنْ شَاهَدَ بِنَفْسِهِ مَظَاهِرَ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ.



واستَطَاعَ «مُحمَّدٌ» أنْ يُحقِّقَ رِبْحًا عَظِيمًا فِى تِلْكَ الرِّحْلَةِ .

عَادَ « مَيْسَرَةُ» لِيُحدِّثَ سَيِّدَتَهُ «خَدِيجَةَ» بِمَا سَمِعَهُ وَرَآه مِنْ أَخْلاقِ «مُحَمَّدٍ» وَأَمَانَتِه، وكَانَ لِكَلِمَاتِ «مَيْسَرَةَ» أَثَرٌ كَبِيرٌ فِى نَفْسِ السَّيِّدَةِ «خَدِيجَةَ» فَقَدِ ازْدَادَتْ مَكَانَةُ «مُحَمَّدٍ» فِى نَفسِها، وَشَعَرَتْ



بِمَزِيدٍ مِنَ التَّقْدِيرِ لَهُ، وَفَكَّرَتْ فِى الزَّوَاجِ مِنْهُ، فَلَمْ تَتَرَدَّدْ طَوِيلاً، وَقَرَّرَتْ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِ لِتَتَأَكَّدَ مِنْ رَغْبَتِهِ فِى الزَّوَاجِ مِنْهَا.

كَانَتْ فَرْحَةُ السَّيِّدَةِ «خَدِيجَةَ» عَظِيمَةً حِينَمَا عَلِمَتْ بِرَغْبَةِ «مُحَمَّدٍ» فِى الزَّوَاجِ مِنْهَا، وَجَاءَ «مُحَمَّدٌ» مَعَ أَعْمَامِهِ إِلَى دَارِ «خَدِيجَةَ» لِخِطْبَتِهَا.

وَسُرْعَانَ مَا تَمَّ الزَّوَاجُ، وَاحْتَفَلَ أَهْلُ «مَكَّةَ» جَمِيعًا بِزَوَاجِهِمَا.



إنَّ خَيْرَ مَا يَقْرَؤُه أَبْنَاؤُنَا هُوَ السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ التى تَقُصُّ عَلَيْهِمْ حيَاةَ خَيْرِ البَشَرِ وأكْمَلِ إنْسَانٍ عَاشَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ. إذْ كَانَتْ حَيَاتُه كُلُّهَا دِينًا وَدُنْيَا، عِلْمًا وَعَمَلاً، خُلُقًا وَسلُوكًا، بُطُولَةً وَكِفَاحًا، رَحْمَةً وَعَدْلاً، عفْوًا وَسَمَاحَةً.

بَعَثَهُ اللَّهُ فِى جَزِيرَةِ العَرَبِ، فَأَحْيَا أُمَّةً وَأَقَامَ دَوْلَةً، وَرَبَّى رِجَالاً ، فَأَنَارَ الدُّنْيَا وَنَشَرَ الإِسْلاَمَ.

صدر منها :



سفير ١٥ شارع أحمد عرابي - المهندسين - ص . ب: ٤٢٥ الدقى - القاهرة ت: ٣٤٤٧١٧٣ فاكس: ٣٠٣٧١٤٠

E-Mail:Safeer@link.com.eg Web Site: www.safeer.com.eg

